﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ٥٢﴾ [يونس: 52]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الـرّبـطُ بـينَ عـذابِ الـدّنيا وعـذابِ الخلدِ في الآخرةِ، وهو أشدُّ وأنكى

لَمّا كانَ ما تقدَّمَ ذِكرُه مِنَ العذابِ هوَ العَذاب الدُّنيويّ؛ أُتبِعَ بالإعلام أنَّ العذابَ الدُّنيويَّ ليسَ هوَ ما يُقتصَرُ عليه في جزائِهم، وإنَّما يَلحَقُهُم عذابُ الآخرةِ أيضًا، فقال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡخُلۡدِ﴾: أصلُ (خلد): يدُلُّ على الثَّباتِ والمُلازَمَةِ، فيُقالُ: خَلَدَ: أقامَ، وأخلَدَ أيضًا. ويقولونَ رَجُلٌ مُخلَدٌ ومُخلِدٌ، إذا أبطأَ عنه المَشيبُ؛ لأنَّ الشَّبابَ قد لازَمَه ولازَمَ هو الشَّبابَ[2]. ويُقالُ أخلَدَ إلى الأرضِ إذا لَصِقَ بها. والخُلدُ: مِن أسماءِ الجِنانِ، والخُلودُ: البقاءُ فيها[3]. والخَلَدُ: البالُ، تقولُ: ما يَقَعُ ذلك في خَلَدي؛ وسُمِّيَ بذلكَ لأنَّه مُستَقِرٌّ في القلبِ ثابِتٌ[4]. والمقصودُ بالخُلدِ في الآيةِ: الثَّباتُ الدّائمُ والبقاءُ اللّازمُ الَّذي لا يَنقطعُ[5].

2) ﴿تَكۡسِبُونَ﴾: أصلُ (كسب): يدُلُّ على ابتِغاءٍ وطَلَبٍ وإصابةٍ. يُقالُ: كَسَبتُ الشَّيءَ؛ أي: طَلَبتُهُ[6]، ومِنه الكَسبُ: وهو ما يتَحرّاه الإنسانُ ممّا فيه اجتلابُ نَفعٍ، وتَحصيلُ حظٍّ، كَكَسبِ المالِ، وقد يُستعمَلُ فيما يَظُنُّ الإنسانُ أنَّه يَجلِبُ مَنفعةً، ثمَّ استُجلِبَ به

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/138.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خلد).
(3) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة: (خلد).
(4) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (خلد).
(5) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/110.
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (كسب).

مَضرَّةٌ. والكَسبُ يُقالُ فيما أخذَه لنَفسِه ولغيرِه؛ ولهذا قد يَتعدَّى إلى مَفعولَين، فيقالُ: كَسَبتُ فلانًا كذا. والاكتِسابُ لا يُقالُ إلّا فيما استفدتَه لنفسِكَ[1]. ويُطلَقُ الكَسبُ على الجرحِ؛ أي: فِعلُ الشَّيءِ بالجارحةِ، والكَواسِبُ: الجَوارحُ مِنَ الإنسانِ والطَّيرِ[2]. والمرادُ بالكَسبِ في الآيةِ: ما يُحصِّلُه المَرءُ بعلمِه لإرادةِ نَفعِ نفسِه.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الجزاءُ لا يكونُ إلّا جـزاءَ الكفرِ والعصيانِ

يُبَيِّنُ اللهُ تعالى في الآيةِ أنَّه يُقالُ يومَ القيامةِ للَّذين ظَلَموا أنفُسَهم: تجرَّعوا العَذابَ الدّائمَ الَّذي لا ينقَطِعُ، فهل يُجازيكم اللهُ إلّا بما كُنتُم تَعملونَ في الدُّنيا مِنَ الكُفرِ والتَّكذيبِ والمعاصي؟[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالةُ ﴿ثُمَّ﴾ في السّياقِ:

بيانُ مَنزِلَةِ عذابِ الآخرةِ مِن عذابِ الـدُّنـيـا، وأنَّـه أعظَمُ وأشَدُّ

﴿ثُمَّ﴾ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ﴾ عاطِفَةٌ على (قيلَ) المقدَّرَةِ قبلَ ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ﴾؛ لِتَوكيدِ التّوبيخِ، وهي مُستعمَلَةٌ هُنا في معنى التَّراخي الرُّتبيِّ، فهذا عذابٌ أعظمُ مِنَ العذابِ الَّذي في قولِه: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوۡ نَهَارٗا﴾ [يونس: 50]، فإنَّ ذلكَ عذابُ الدُّنيا، وأمّا عذابُ الخُلدِ فهو عذابُ الآخرةِ، وهذا أعظَمُ مِن عذابِ الدُّنيا، فذلكَ مَوقِعُ عطفِ جُملَتِه بحَرفِ (ثُمَّ)[4].

دلالةُ التَّعبيرِ عن المُستَقبَلِ بالفعلِ الماضي: ﴿قِيلَ﴾:

مـا أخـبَرَ اللـه ﷻ بكونِهِ؛ فهوَ كائِنٌ لا مَحالَةَ

الفعلُ الماضي ﴿قِيلَ﴾ مِن قولِ اللهِ ﷻ: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ﴾ يُرادُ به المستقبَلُ، والمعنى: ثُمَّ يُقالُ للّذينَ ظلَموا، وفي

(1) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (كسب).
(2) ابن منظور، لسان العرب، والزَّبيدي، تاج العروس: (كسب).
(3) ابن جرير، جامع البيان: 12/191، والشّوكانيّ، فتح القدير: 2/514، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 366.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/195، 194.

التَّعبيرِ بالماضي عنِ المستقبَلِ إشعارٌ بتحقُّقِ الوقوعِ، حيثُ نُزِّلَ ما يكونُ مَنزِلَةَ ما هوَ كائنٌ بالفعلِ، وذلك مُشعِرٌ بصدقِ القائلِ، وعظيم قُدرَتِه على إيجادِ ما يُريدُ كَونَهُ، وقد وردَ هذا الأسلوبُ - وهو التَّعبيرُ عنِ المُستقبَلِ بالفعلِ الماضي - كثيرًا في القرآنِ الكريمِ، ومنه قولُ اللّه سُبحانَهُ: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ [النّحل: 1].

نُكتةُ بناءِ الفعلِ ﴿قِيلَ﴾ لِما لَم يُسَمَّ فاعِلُه:

بُنِيَ الفعلُ ﴿قِيلَ﴾ في قولِ اللّه ﷻ: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ﴾ لما لَم يُسَمَّ فاعِلُه للعِلمِ بِهِ؛ إمّا بنسبَةِ القولِ إليه ﷺ، أو بنسبَةِ القولِ إلى الملائكةِ الموكَّلَةِ بحشرِهِم ومُجازاتِهِم. ويجوزُ أن يكونَ الفعلُ ﴿قِيلَ﴾ قد بُنِيَ للمَفعولِ؛ لإرادَةِ العُمومِ؛ أي: يقولُ لَهُم ذلكَ كُلُّ مَن يتأتَّى منه القولُ؛ لظهورِ ظُلمِهِم لكلِّ أحدٍ، ووُضوحِ استِحقاقِهِم هذا الجزاءَ.

ظُهورُ ظُلمِ أهلِ الشّركِ، ووُضوحُ استِحقاقِهِمُ العذابَ في الآخرةِ

دلالةُ اللّامِ في شبه الجملةِ ﴿لِلَّذِينَ﴾:

اللّامُ في ﴿لِلَّذِينَ﴾ من قولِ اللّه ﷻ: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ﴾ أفادَتِ التَّخصيص؛ أي: قِيلَ لَهُم خاصَّةً لِتكذيبِهِم؛ إذْ هُمُ المَخصوصون بهذا التَّوبيخِ والتَّقريعِ لا أحَدَ سِواهُم.

أشدُّ النّاسِ استِحقاقًا لِعذابِ الخُلدِ هُمُ المُشرِكون

والاسمُ الموصولُ (الّذين) دالٌّ على العُمومِ، والمَعنى: ثُمَّ قِيلَ لكلِّ الظّالمينَ ذوقوا عذابَ الخلدِ، ويجوزُ أن يكونَ هذا العُمومُ مُرادًا به الخصوصُ، وهُمُ الظّالمونَ الكاملونَ في الظُّلمِ؛ وهُمُ المشركونَ الشِّركَ الأكبَرَ، لا عمومَ مَن وَقَعَ في أيِّ ظُلمٍ.

نُكتةُ التَّعبيرِ بالاسمِ الموصولِ وصِلَتِه:

التَّعبيرُ بالموصولِ في قولِ اللّه ﷻ: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ﴾ لزيادَةِ تقريرِ الغَرضِ المَسوقِ له الكلامُ؛ وهوَ زيادةُ تقريعِهِم وإهانَتِهِم بَعدَ أن وضَعوا الكُفرَ والتَّكذيبَ مَوضِعَ الإيمانِ والتَّصديقِ، أو ظَلَموا أنفسَهُم بتعريضِها لِلعذابِ والهلاكِ، فاستَحقّوا أنْ يُعبرَّ عَنهُم بما تضمَّنَته الصِّلَةُ، وهي ﴿ظَلَمُواْ﴾.

تَقريعُ المُشرِكينَ لِوَضعِهِمُ الكُفرَ مَوضِعَ الإيمانِ، والتَّكذيبَ مَوضِعَ التَّصديقِ

سرُّ الإظهارِ في مَوضِعِ الإضمارِ:

الـشِّـركُ أعـظَـمُ أسـبـابِ سـوءِ الـعـاقِـبَـةِ في الآخرةِ

في قولِ اللّه ﷻ: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ﴾، وضعُ المُظهَرِ مَوضِعَ المُضمَرِ؛ وذلك لأنَّ مُقتضَى الظّاهِرِ أنْ يَرِدَ النَّظمُ القرآنيُّ: (ثُمَّ قيلَ لَهُم ذوقوا عذابَ الخُلدِ)، والنُّكتَةُ في العُدولِ عنِ المُضمَرِ إلى المُظهَرِ: "تسجيلُ وصفِ الظُّلمِ عليهِم، وهو ظُلمُ النَّفسِ بالإشراكِ، ومعنى ظَلَموا: أشرَكوا"[1].وفيه إيذانٌ "بكونِ التَّكذيبِ ظُلمًا، أو بعلِّيَّتِه لإصابَةِ ما أصابَهُم مِن سوءِ العاقبةِ، وبدخولِ هؤلاءِ الظّالمينَ في زُمرتِهِم جُرمًا ووعيدًا دخولًا أوّليًّا"[2].

بلاغةُ المجازِ في التَّعبيرِ عن الإحساسِ بالعذابِ بتذوُّقِهِ:

عَـذابُ المُشرِكينَ في الآخرةِ مُتَزايِدٌ لا حَدَّ لِمُنتَهاهُ

الذَّوقُ في قولِ اللّه ﷻ: ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ﴾ مُستعمَلٌ مجازًا في الإحساسِ بحاسَّةِ اللَّمسِ، وهو مُجازٌ مُرسَلٌ، بعلاقةِ الملزوميَّةِ؛ إذِ الإحساسُ لازِمٌ للذَّوقِ.

وجائزٌ أن تكونَ الآيةُ مِن قبيلِ الاستعارةِ؛ وذلك لكونِ الذَّوقِ أقوى الحواسِّ المباشرَةِ للجسمِ، فيُشبَّه به إحساسُ الجلدِ، فيكونُ في قولِ اللّه سُبحانَهُ: ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ﴾ استعارةٌ تصريحيَّةٌ تبعيَّةٌ.

وفي التَّعبيرِ بالذَّوقِ وعيدٌ عظيمٌ؛ حيثُ جُعِلَ ما هُم فيه مِنَ العذابِ الأليمِ الشَّديدِ بمَنزِلَةِ الذَّوقِ الّذي هوَ مُقدِّمَةٌ للطَّعامِ، فكذلكَ عذابُهُم الّذي يُقاسونَهُ، يَعقُبُه ألوانٌ مِنَ العذابِ أشدُّ ممّا هُم فيه، كما يُشيرُ إلى ذلكَ قولُ اللّه سُبحانَهُ: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابٗا﴾ [النّبأ: 30].

نُكتةُ إضافةِ العذابِ إلى الخُلدِ:

شـدَّةُ عـذابِ المُـشـركـينَ ودوامُـهُ، مِـن أشـدِّ الـبـلاءِ وأقساهُ

في إضافةِ العذابِ إلى الخُلدِ في قولِ اللّه ﷻ: ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ﴾ إيماءٌ إلى استمرارِهِ، فهو عذابٌ دائمٌ مُؤلِمٌ لا يَنقَطِعُ عنهُم

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/195.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/153.

أبدًا، كما قال اللّه سُبحانَهُ: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: 36].

والأمرُ بالذَّوقِ في قوله: ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾ دالٌّ على تَحقيرِ شَأنِهم والتَّهَكُّم بِهِم، والمرادُ: هذا العَذابُ الَّذي كُنتُم تَستَعجِلونَه سُخريةً واستهزاءً ذوقوهُ؛ خالِدينَ فيهِ، لا يَنقَطِعُ عنكُم أبدَ الآبِدينَ.

علَّةُ الفَصلِ في: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ﴾:

فظاعَةُ عذابِ المُشرِكينَ في الآخرةِ، على قَدرِ ما اكتَسَبوه مِنَ الآثامِ في الدُّنيا

فُصِلَ قولُ اللّه ﷻ: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ عمّا قبلَهُ؛ لِشِبه كمالِ الاتّصالِ، وهو المُسمَّى الاستئنافَ البيانيَّ، وذلكَ أنَّ قولَ اللّه سُبحانَهُ: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ واردٌ جوابًا عن سؤالٍ يُفهَمُ مِنَ الجُملةِ السّابقةِ؛ والمعنى: ماذا كانَ الرَّدُّ بَعدَ أن قيلَ لَهُم: ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾، وما السَّبَبُ الدّاعي لإذاقَتِنا هذا العذابَ، فكانَ الجوابُ والرَّدُّ: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾، قال ابنُ عاشورٍ: "وجملةُ: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ استِئنافٌ بيانيٌّ؛ لأنَّ جملةَ: ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾ تُثيرُ سُؤالًا في نُفوسِهِم عَن مِقدارِ ذلكَ العذابِ، فيكونُ الجوابُ على أنَّه على قَدرِ فَظاعَةِ ما كَسَبوه مِنَ الأعمالِ مَعَ إفادةِ تعليلِ تسليطِ العذابِ عليهِم"[1].

دلالةُ الاستفهامِ في جملةِ الاستفهامِ ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ﴾:

الشِّركُ والتَّكذيبُ أعظمُ أسبابِ التَّعذيبِ

جاءَ الاستفهامُ في قولِ اللّه ﷻ: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ بحرفِ الاستفهام ﴿هَلْ﴾، وهيَ هنا بمعنى النَّفي؛ والتَّقديرُ: ما تُجزَونَ هذا إلّا بِسببِ ما ارتَكبتموه مِن أعمالِ الشِّركِ والتَّكذيبِ واستعجالِ العذابِ.

فالاستفهامُ في قولِه: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/195.

استفهامٌ إنكاريٌّ؛ بمعنى النَّفي؛ أي: ما تُجزَونَ، فلمّا قيلَ لَهُم: ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ﴾ كأنَّهم أنكروا وُقوعَه، فقالوا في أنفسِهم: ما سببُ هذِه الإذاقَة؟ فكانَ الرَّدُّ عليهم بهذا الاستفهامِ.

نُكتةُ بناءِ الفعلِ ﴿تُجۡزَوۡنَ﴾ لِما لَم يُسَمَّ فاعِلُهُ:

تحقيرُ شأنِ المُشركينَ المُعَذَّبينَ، والحَطُّ مِن أقدارِهِم جزاءَ أفعالِهِم

بُنِيَ الفعلُ المضارعُ ﴿تُجۡزَوۡنَ﴾ لِما لم يُسمَّ فاعلُه في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾ للعلمِ بمَن يجازيهِم على أفعالِهِم، وهوَ اللهُ تعالى، أو الملائكةُ الموكَّلةُ بالعذابِ، ولكنَّها صادرةٌ عَن أمرِ اللهِ سُبحانَهُ، ويجوزُ أن يُطوَى التَّصريحُ بالفاعلِ؛ تحقيرًا لأمرِهِم وتنزيلًا لِشأنِهِم.

وسُمِّي الحسابُ والعقابُ جزاءً؛ لأنَّ مَن يَعمَلُ عَملًا إنَّما يُجازَى عليه، فأُطلِقَ المُسبَّبُ؛ وهوَ الجزاءُ، وأُرِيدَ السَّبَب؛ وهو ما ارتَكَبوه مِنَ الشِّركِ والتَّكذيبِ.

بلاغةُ القَصرِ الحقيقيِّ:

العذابُ في الآخرةِ على قَدرِ الأعمالِ القبيحةِ، ومَن يعملْ سوءًا يُجزَ بِهِ

في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾ قَصرُ صفةٍ على موصوفٍ قصرًا حَقيقيًّا، وهو قَصرُ صفةِ الجزاءِ على كسبِ الأعمالِ القبيحةِ والأفعالِ الشَّنيعةِ مِنَ الشِّركِ والتَّكذيبِ بالوعدِ معَ استعجالِ وقوعِه استهزاءً وسخريةً عليهم، وهذا القصرُ واقِعٌ بالنَّفي والاستثناء، وهو أبلغُ طُرقِ القصرِ، وفيه تنبيهٌ على أنَّ اللهَ سُبحانَه لم يظلِمهُم، وأنَّه إنَّما أوقَعَ عليهم مِنَ العذابِ ما يُقابِلُ قبيحَ أفعالِهِم.

دلالةُ الباءِ و(ما) في: ﴿بِمَا﴾:

الذُّنوبُ والمَعاصي يُعذَّبُ بها الآخذُ بالنَّواصي

الباءُ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾ لِلسَّبَبيَّةِ، و(ما) اسمٌ موصولٌ بمعنى: الّذي، والعائدُ محذوفٌ، والمعنى: هل تُجزَونَ إلّا بِسببِ الَّذي كَسَبتُموه مِنَ المعاصي والذُّنوبِ.

نُكتةُ التَّعبيرِ بالكَسبِ مادَّةً وصيغَةً:

الإصـــــرارُ عـلـى الـكـفـرِ والـعـصـيـانِ، جُـعِـلَ كـأنّـه كَسبٌ بالنِّسبَةِ لَهُم

جاءَ التَّعبيرُ بالكسبِ في قولِ اللّه ﷻ: ﴿هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ﴾، و"الكَسبُ: الفعلُ العائِدُ على فاعِلِه بِنفعٍ أَو ضُرٍّ، وقال بعضُهم: الكَسبُ ما وقَعَ بمراسٍ وعِلاج، وقال آخرونَ: الكَسبُ ما فُعِلَ بِجارِحَةٍ، وهو الجرحُ، وبِه سُمّيَتْ جوارحُ الإنسانِ جَوارحَ، وسُمّيَ ما يُصادُ به جَوارِحَ وكَواسِبَ"[1]، ولمّا وقعَت مِن هَؤلاءِ الذُّنوبُ والمعاصي وُصِفَتْ هُنا بأنَّها مَكاسِبُ أيديهِم وهوى أنفسِهِم، ومُكتَسِبُ الشَّيءِ مَجزيٌّ بِهِ، والمرادُ: استَمرَرتُم على كَسْبِه في الدُّنيا مِن أصنافِ الكُفرِ الّتي مِن جُملَتِها ما مَرَّ مِنَ الاستعجالِ، وزادَ غيرُ واحدٍ في البيانِ سائرَ أنواعِ المعاصي بناء أنَّ الكُفّارَ مُخاطَبونَ بفروعِ الشَّريعةِ، فَيُعذَّبونَ على ذلكَ[2]. فلمّا كانوا مُصرِّينَ على كفرِهِم وعصيانِهِم؛ جُعِلَ ذلكَ كَسبًا بالنِّسبةِ لَهُم.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الكَسبُ والفِعلُ والعَمَلُ والصُّنعُ:

مِـــن سـعـةِ الـعـربـيّـةِ اختِصاصُ كُلِّ لـفـظٍ بـدلالـةٍ تُمَيِّزُه عمّا يُقارِبُهُ

الكَسبُ: "ما يَتَحراه الإنسانُ ممّا فيه اجتلابُ نَفعٍ، وتَحصيلُ حَظٍّ، كَكَسبِ المالِ، وقد يُستَعمَلُ فيما يَظُنُّ الإنسانُ أَنَّه يَجلِبُ مَنفَعَةً، ثُمَّ استُجلِبَ به مَضَرَّةٌ. والكَسبُ يقالُ فيما أَخذَه لِنفسِه ولِغيرِه، ولهذا قد يتعدَّى إلى مفعولَينِ"[3].

أمّا الفعلُ فهو "عبارةٌ عَمّا وُجِدَ في حالٍ كانَ قبلَها مَقدورًا، سواء كانَ عنَ سببٍ أو لا"[4].

وقال الرّاغِبُ: "الفِعلُ: التَّأثيرُ مِن جِهَةِ مُؤَثِّرٍ، وهوَ عامٌّ لِما كانَ

(1) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 143.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 11/153.
(3) الرّاغب، المفردات: (كسب).
(4) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 138.

بإجادَةٍ أو غَيرِ إجادَةٍ، ولِما كانَ بعلم أو غيرِ علمٍ، وقصدٍ أو غيرِ قصدٍ، ولِما كانَ مِنَ الإنسانِ والحيوانِ والجماداتِ، والعملُ مثلُهُ، والصُّنعُ أخصُّ منهُما"[1].

(العَمَلُ): إيجادُ الأثرِ في الشَّيءِ، يُقالُ: فُلانٌ يَعمَلُ الطّينَ خَزَفًا، ولا يُقالُ: يَفعلُ[2].

وعندَ الرّاغبِ: "كُلُّ فِعلٍ يكونُ مِنَ الحيوانِ بقصدٍ، فهو أخصُّ مِنَ الفعلِ؛ لأنَّ الفِعلَ قد يُنسَبُ إلى الحيواناتِ الَّتي يقعُ منها فِعلٌ بغيرِ قصدٍ، وقد يُنسَبُ إلى الجماداتِ، والعملُ قلَّما ينسَبُ إلى ذلكَ، ولَم يُستعمَلِ العملُ في الحيواناتِ إلا في قولهم: البَقَرُ العَوامِلُ، والعملُ يُستَعمَلُ في الأعمالِ الصّالحةِ والسَّيِّئةِ"[3].

وأمّا الصُّنعُ فهو تَرتيبُ العملِ وإحكامُه على ما تقدَّمَ عِلمٌ بِهِ، وبما يوصِّلُ إلى المُرادِ منهُ، ولذلكِ قِيلَ للنَّجّارِ صانِعٌ، ولا يُقالُ للتّاجرِ صانِع؛ لأنَّ النَّجّارَ قد سَبَقَ علمُه بما يُريدُ عَمَلَه مِن سريرٍ أو بابٍ، وبالأسبابِ الَّتي توصِّلُ إلى المُرادِ مِن ذلكَ، والتّاجرُ لا يَعلَمُ، فالعملُ لا يَقتضي العِلمَ بما يَعمَلُ له، والصُّنعُ أيضًا مُضَمَّنٌ بالجودَةِ، ولهذا يُقالُ: ثَوبٌ صنيعٌ وفُلانٌ صَنيعَةُ فلانٍ؛ إذا استخصَّه على غيرِه[4].

وفي مُفرداتِ الرّاغبِ: "الصُّنعُ: إجادةُ الفعلِ، فكلُّ صُنعٍ فِعلٌ، وليسَ كلُّ فعلٍ صُنعًا، ولا يُنسَبُ إلى الحيواناتِ والجماداتِ، كما يُنسَبُ إليها الفعلُ، قال تعالى: ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ﴾ [النّمل: 88]، يُقالُ للحاذِقِ المُجيدِ: صَنَعٌ، وكما قيل: يَدٌ صَناعٌ"[5].

(1) الرّاغب، المفردات: (فعل).
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 140.
(3) الرّاغب، المفردات: (عمل).
(4) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 141.
(5) الرّاغب، المفردات: (صنع).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 19 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-16-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 19 : المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-16-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6365726 بتاريخ 2024/02/07م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»